تطبيق على سورة المرسلات

اللقاء الرابع والأخير

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

http://www.muslimat.net/

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله. .

والله الموفق لما يحب ويرضى.

من عناصر الدرس:

- مراجعة لما سبق ..
- مثال الملاحظات لسورة البروج ، وإشارة لحال إيماننا مع الفتن .
- ينبغي حفظ القرآن كحقائق (مثال آية وآتيناه من كل شيء سببا).
- الخطوة الثالثة من مرحلة التهيئة: القراءة التفسيرية (التطبيق على سورة المرسلات).
- الدراسة فيها ثلاثة مراحل:
  ١. قراءة من تفسير مجمل (السعدي)
  ٢. قراءة من تفاسير مفصلة (الطبري، البغوي، ابن كثير، القنوجي)
  ٣. قراءة من كتب متخصصة مع الحذر (أبو السعود، القرطبي).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الأخير في هذه الدورة أسأل الله عزّ وجلّ أن تكون هذه الدورة فاتحة لدورات مباركة تنفعنا يشرح الله عزّ وجلّ بها صدورنا ويمتلئ قلوبنا حباً للقرآن، اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وهمومنا، اللهم آمين.

وقد اتفقنا أن لقاءنا اليوم يكون تطبيقاً على سورة المرسلات، والمقصود من كلمة التطبيق بمعنى أن ألاحظ ما اتفقنا أن نلاحظه ونكتب الأسئلة التي تمرّ علينا كعلامات استفهام، يعني نمر بخطوات الإحسان في حفظ القرآن.

اتفقنا على أربع خطوات: المرحلة الأولى سميناها مرحلة التهيئة وقد استفدنا هذا اللفظ من كلام الشيخ السعدي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[1]، والمرحلة الثانية الدراسة ولها دليلها، والمرحلة الثالثة الحفظ ولها دليلها، والمرحلة الرابعة المراجعة.

التهيئة ماذا سأفعل بها؟ أهيّء نفسي للسورة التي أريد حفظها، أقرأها بتكرار هذه النقطة الأولى، وأسمعها بتكرار هذه النقطة الثانية، وخلال القراءة والسماع تحصل عملية الملاحظة، الملاحظة فيها عدة جهات: سألاحظ الموضوعات، الألفاظ، السورة.

أولاً الموضوعات هذا أهم أمر تلاحظيه، ثم يأتي بعد ذلك ملاحظة الألفاظ التي وردت في السورة بتكرارها والألفاظ الغريبة، ثم ملاحظة السورة إجمالاً بدايتها ورابطها مع الخاتمة، ارتباط الآيات، الانتقالات في السورة، هذه كلها تحتاج منا إلى ملاحظات.

أكثر شيء نقضي فيه وقت ويحتاج منا إلى جهد في الملاحظة الموضوعات، بحيث أني أصل من خلال ملاحظتي للموضوعات لزيادة الإيمان فأول شيء سأهتم به هو أركان الإيمان، لما تهتم بأركان الإيمان معناه تضع أمام عينيك الأركان الستة ثم تنظر في السورة التي تدرسها وتبحث عن هذه الأركان، تتعرف على الله من السورة، تتعرف على الملائكة، على الكتب، على الرسل صفاتهم، أحوالهم، كيف عاملهم ربهم؟ اليوم الآخر..

[1] [المزّمّل : ٥]

السؤال ما معنى أن يزيد إيمانك بهذه الأركان؟ مثلا في أواخر سورة الحشر تبين لك كيف سمّى الله عز وجل نفسه. في أوائل الحديد تبيّن لك كيف وصف الله عز وجل نفسه بصفات الكمال. في أول غافر سمعت عن الملائكة العظام حملة العرش ومن حوله وكيف يستغفرون للذين آمنوا. ما معنى أن تزيد إيمانك؟

هل زيادة الإيمان معناها الخشوع والبكاء؟ هل هذه علامة زيادة الإيمان؟ الجواب لا، وقت ما تزيد إيمانك معناه لما تأتيك عاصفة من الشبُهات، لما يأتيك موقف من المواقف التي تضيق وقتها الدنيا بأهلها يكون إيمانك راسخ.

فمثلاً عرفت أن الله عزيز ذو انتقام، وترى ما يحصل لإخوانك في سوريا، هذه جروح مؤلمة، وتقرأ سورة البروج، ترى الناس احترقوا، وتسمع في سورة البروج –وهي من قصار السور– عن قوم أيضاً احترقوا، ومع ذلك تسمع فيها من أسماء الله عز وجل وصفاته ما لا تجده في غيرها.

صفي الله من سورة البروج؟ ابدئي بالشيء الذي يثلج صدرك على إخوانك، صفة البطش **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[1] فلما تأتي عاصفة مثل هذه العاصفة، حَدَث أصبح بعيدًا لكنه قريب من جهة الألم، يكون في قلبك ثقة بالله، هذه الآيات التي تسمعها في سورة البروج، منذ أكثر من عشر سنوات حصل موقف يشبه قصة أصحاب البروج في أندونيسيا، جماعة من النصارى استولوا على قرى مسلمين في أندونيسيا وحرقوهم حرقاً، أجساد الناس كانت رمادا! فالذي استقبل الحدث واحد من إثنين :

١. شخص يعرف من هو ربه ويعرف أن هؤلاء قوم دخلوا في نار الدنيا إلى جنة الآخرة، كل الناس سيموتون والله عز وجل ولي المتقين، وقوم يكون لهم خواتيم، هذه الخواتيم تحملهم إلى حُسْن ما سيأتيهم عند ربهم، مهما كانت مؤلمة عندك، لكن في النهاية هو موت.
٢. و قوم آخرين فُتنوا وشعروا أنه إذا كان مُتبع هذا الدين بهذا الذل فأحسن يترك الدين!.

فما هو الإيمان هنا؟ أن تأتي مثل هذه العواصف وتكون ثابتًا، تعرف من هو الله، تعرف كيف يعامل عباده، وما هي أبواب الوصول إليه، أما من يحلم بالمدينة الفاضلة وبالحياة الهانئة على الأرض ويظنّ أنه ليس هناك اعتصارات ولا آلالام، ليس هناك أحد يضحي من أجل الدين، ليس هناك اختبارات عظيمة من أجل الدين هذا لا يعرف القضية.

[1] البروج: ١٢ – ١٦

ما هو الإيمان؟ الإيمان أن تعرف من هو الله، كيف يعامل أولياؤه كيف يعامل أعداؤه ثم تفتش من هم أولياؤه أصلاً، الذين يتحزبون حول أشخاص أو الذين همهم رضا الله؟! ثم تفتش في نفسك أنت من والناس حولك مَن هم، مِن أجل أن لا تدخل في متاهات. هذه الأمور هي معاني الإيمان فلما تزيد هذه المعاني تأتي لحظات الخلوات خاصة ويعصف بك خبر من الأخبار التي كنت تدرسها من أسبوع، مثلاً عن الجنة أو عن النار تأتيك لحظة خلوة ثم وأنت تكرر المعاني أو مرت عليك المعاني فجاءت هذه المعاني في لحظة هدوء فتعصره شعوراً فتنزل الدمعة التي هي عند الله سبب من أسباب لكي تكون من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله.

فإذن ليس معنى الإيمان أن تكون باكياً ليلا ونهاراً، إنما الإيمان تحويل الحقائق التي تسمعها كأخبار إلى مشاعر يقينيه، يقينًا سنلقى ربنا، يقينًا سنكلمه ما بيننا وبينه ترجمان، يقينًا أنه سبحانه وتعالى على العرش استوى، وأن حملة العرش يستغفرون للذين آمنوا، وأنك وقت ما تتوب وتكون صادقًا في توبتك يعاملك الله بصفة عظيمة له وهي صفة الفرح، في كل هذا لازم تتحول إلى مجموعة مشاعر يقينية، فمن علم أن الله يفرح لتوبته كم يكون حريص على أن يجدد توبته، هذا هو الإيمان! لكن تجدي إنسان مصلي صائم مرتاد مجالس التحفيظ أو مجالس الذكر ثم يأتيه حزن من الأحزان أو طارئ من الطوارئ يُفتن ويكلمك عن الله كلام لا يليق! وربما يكون أكثر فلا يتكلم بلسانه لكن في وجدانه سوء ظن بالله ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ ﴾[1]، ظنكم الذي يردي.

فالنفاق هو عبارة عن صورة جميلة تنطبق مع صورة المؤمن ويختلف المنافق عن المؤمن في ظنونه في ربه، ماذا يظن؟ لما تقرئين في الأنفال، في النساء، في المنافقين، في الحديد، ستجدين أن كل المشكلة ظنهم في ربهم، لو أخذنا آية الحديد التي تتكرر دائماً علينا ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ ﴾[2] الريبة، هناك ريبة في النفس مضطرب، هو ليس على يقين، فتنتم أنفسكم، تربصتم، ارتبتم، غرتكم الأماني حتى جاء أمر الله، غركم بالله الغرور، الخمسة صفات كلها صفات قلبية وليست سلوكية.

ولهذا أخرج الإمام مالك في موطّئه عن الحسن البصري أنه قال: "لو ذهب المنافقين لاستوحشتم!" ما بقي لكم أحد في الشوارع، ولا بقي لكم أحد في الناس، من كثرتهم! صورة جميلة وفي الداخل خرب، فهذا الذي ينقصنا، لابد أن يكون عيننا

[1] فصلت: ٢٣
[2] الحديد:١٤.

على قلوبنا، وخصوصاً في زمن الفتنة، زمن الفتنة لست موكلاً فيه أن تكون قاضي على شيء لم تشهده، ولا حاكماً على أمر لم تعيشه، ولا شاهداً على مواقف وأحداث لم تكن فيها! في زمن الفتنة لما يضج الناس بالأخبار أنت يا مؤمن تُصدق النبي صلى الله عليه وسلم وتسمع قوله: ((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ))[1]، فهذا هو الإيمان، الإيمان ليس في وقت الرخاء!؛ كنا نسمع هذا الكلام أنه يُقتل المقتُول فلا يدري فيما قُتل، ويَقتِل القاتل ولا يدري فيما قَتَل، كنا نسمعه في التاريخ في العشرة والخمسة عشرة سنة، نراه مقتول وقاتل ولا يفهموا لماذا يَقتلون ولماذا يُقتلون، وأنت ترى مثل هذا الموقف أكثر من هذه الأحداث أن تسمّى فتنة؟! ليس هناك أكثر من هذا تسمّى فتنة، الفتنة هذه في الحديث هرج، والهرج في تفسيره أمرين: كثرة القالة وكثرة القتل، وأكيد كثرة القالة دوشتنا، والقتل مما يدمي القلب في كل مكان في هذا الوقت، الذي ينفعك وينفع إخوانك أيضاً أن تكون ممن عبد الله، وسهم من سهام الليل لا يخطئ من ضعيف منكسر لو أقسم على الله لأبرّه، يكشف به الله عز وجل الغمة عن الأمة.

أسأل الله عزّ وجلّ أن يكشف الغمة عن أهل الإيمان وأهل التقوى ويذهب عنا ما نحن فيه من تخبُّط. هذا أكثر مما يؤلمنا الآن، كثير ممن يعيش الأحداث اليوم سمع من ١٤١٨و١٤١٩ ولازال يسمع عن الفتن وخطورتها وموقفنا من الفتن وكيف يجب أن نكون.. وأول ما جاءت الفتنة وضع قدمه فيها وأطلق لسانه فيها! مع أنه هو ممن يحفظ كلام ابن العمر في الفتنة، ويحفظ كلام السلف في الفتنة، لكن المعصوم من عصمه الله.

على كل حال أكثر شيء يهمنا في الملاحظات هو الكلام عن الإيمان، فأنت كلما قرأت في آيات كتاب الله كلما عرفت عن عقيدتك التي ستحاسَب عنها.

يأتي أحد يقول لك مثلا (احكي لي ماذا سيكون من لحظة الموت إلى لحظة استقرار أهل الجنة في الجنة واستقرار أهل النار في النار والعياذ بالله؟) تبحث في عقلك عن نصوص تحفظها، لا تجد! ممكن تكون حافظ لكتاب الله لكن ليس عندك سلسلة تقول لك الناس وقت القبض تستقبلهم الملائكة فإما من القوم الذين يقال لهم (سلام عليكم طبتم) إلى آخر ما يقولوا لأهل الإيمان، إما من القوم الآخرين، فالذي يحفظ سورة النحل مثلا ولا يتذكر الآيات التي تدلّه على أن هذا استقبال الملائكة للمؤمن وهذا استقبال الملائكة للكافر والمنافق، ماذا استفاد من حفظه؟! ركن اسمه ركن الإيمان بالملائكة، أين هو؟! فتّش عنه ماذا تعرف فيه؟ (ركن) يعني إيمانك يقوم عليه، فإذا كانت الأركان خاوية من المعلومات والأدلة، إذن على أي شيء أنت تبني! صلاتك وصيامك وزكاتك وحجك وتوبتك واستغفارك كل هذا مبني على أركان الإيمان، فأركان الإيمان لها أساس، رميت

[1] "صحيح مسلم" (كتاب الفتن وأشراط الساعة / باب فَضْلِ الْعِبَادَةِ فِي الْهَرْجِ / ٧٥٨٨).

الأساس، وسلمت أن الله كامل الصفات وأن له ملائكة وأن له رسلاً وأنزل كتباً وأننا سنلقاه، هذا يعتبر كأنه الأساس، ثم ماذا؟ ألست تحتاج طوابق وتجتهد في ليلك قياماً وفي نهارك صياماً ألست تفعل هذه الأفعال؟ المفروض هذه الأفعال بمثابة الطوابق، والمفروض معها يرتفع الأركان والأساس، أين هي الأركان؟!

لو قيل لك: إبراهيم عليه السلام الذي تسلمين عليه في كل صلاة وأنت تقرئين التحيات، مَن في حياتك؟ وهذا الخطاب لمن يحفظون كتاب الله، على الأقل يحفظون البقرة، مَن هو إبراهيم عندكم؟ أين هو من جهة معلوماتكم؟ أين هو من جهة مشاعركم؟ وأيّ حبٍّ له في القلب؟ وأي مشاعر تحصل في قلوبنا عندما نقول لازم نصلي وراء المقام الركعتين؟ يضاربون على مقام إبراهيم عليه السلام ليصلّون وراءه، وإبراهيم عليه السلام والتوحيد ليس موجودا في القلوب! أليس هذا هو الحاصل؟!

كأننا ندور حول أنفسنا، كثرة أعمال، وفي رمضان أعمال، وفجأة في الأرض! والسبب أن الطوابق التي ارتفعت ليس لها أساس، هذا هو الإيمان الذي نريد أن نبحث عنه، وهو بمثابة ضخ العلم مع الشعور اليقيني به، تضخ العلم تضخ المعلومات تزيد وتزيد وتزيد، حتى تشغلك المعلومات، تشغل شعورك، فأول ما نقول لك (الحرم، الكعبة، المطاف) يكون في قلبك شعائر التوحيد، تعرف هذا الحرم ماذا يعني، يصبح في قلبك من الشوق له لأنه المكان الذي يحبه الله، ليس المكان الذي يعتبر ملتقى وأصبح الحرم استراحة! .

لا مشاعر التعظيم لبيت الله، ولا الإحساس أننا نخطئ، يعني لا نعمل الصح ولا نشعر أننا على خطأ، اختلط علينا الأمر، والسبب واضح: ضعف الإيمان مع القبول بأحوالنا، والشعور أن كل شيء علينا فعلناه، مَن سيكون السبب؟ تعاملنا مع القرآن!

لماذا نشعر أن كل شيء فعلناه؟ قالوا لنا احفظوا القرآن حفظناه، قالوا لنا اقرؤوا القرآن قرأناه، قالوا لنا صوموا في النهار صمنا، قالوا لنا قوموا في الليل قمنا، ماذا أكثر من ذلك أفعل؟ وفي وسط هذا تبحث لا تجد هناك شيء مفهوم في الداخل، ولا هناك شيء ثابت، السبب واضح أن التعامل مع القرآن ليس بالطريقة اللائقة به!

ما السبيل؟!

أولاً: لا تتعجل، هذه أهم نقطة، لا تفتح أي مشروع للقرآن بعجلة.

ثانيًا: السورة التي تريد أن تدرسها اقضي فيها الزمن الذي يكون مناسبًا للسورة والجهد الذي ستبذله، اقرأ وكرر القراءة.. إلى أن تسأل هذه السورة أخرج منها ماذا أقول عن ربنا؟ بماذا أصف ربنا من السورة التي حفظتها؟ بماذا أصف الملائكة من السورة التي حفظتها؟ اليوم الآخر ما صورته في ذهني من السورة التي حفظتها؟

أما أن أحفظ القرآن كألفاظ والحقائق لا تظهر أمامي، لا يصلح! أقرأ سورة الكهف كل أسبوع ثم تأتي تُحاجِّني في الأسباب وأنت تقرأ في سورة الكهف ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾[1] يعني من يعطيك الأسباب؟ ربها، هو الأول الذي ليس قبله شيء، هو الأول الذي يعطي الناس الأسباب، ففي الوقت الذي تحتاج فيه إلى سبب لا يتوجه قلبك للأسباب، بل لرب الأسباب، ألست تقرأ سورة الكهف ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ هو ماذا فعل؟ ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ إذن أنت ما دورك مع الأسباب؟ بعد أن تطلبها، بعد أن تقول لرب الأسباب أعطني الأسباب، تأتي تشتكي أنك مريض، نقول لا تشتكي الله للخلق، إنما اطلب من الله الذي أراد تطهيرك الأسباب التي بها تَشفى، لا تذهب وقلبك معلق بالطبيب، اذهب وقلبك معلق بالله، والطبيب هذا مجرد عبد يسخره الله لك، حتى الأطفال الصغار أصبحوا يَردّون على من يُرشِدهم إلى التعلق بالله أنا آخذ بالسبب، أقول السبب يأتي من رب الأسباب!، فأنت تطلب السبب من ربه.

ليس هذا موضوعنا، هذه آية واحدة نقرأها ونكررها ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ﴾ الضمير عائد لربنا ﴿ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ هو ماذا فعل؟ ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ ، فقط هاتين الآيتين لو قرأتها جيدا ستعرف موقفك من الأسباب، ولا تسأل الناس ولا تتشتت.. المسألة ليست متناقضة، ولا التوكل والأخذ بالأسباب! إنما نفس التوكل هو أخذ بالأسباب، لأن المتوكل يطلب رب الأسباب أن يرزقه الأسباب، هذا عين التوكل، تفهم أنه ليس في يدك أنك تأخذ الأسباب ولا في يدك حتى لو الأسباب أمامك أنك تنتفع من الأسباب. كم حكوا عن طبيب ماهر لعلاج نفس مرضك والناس ذهبوا وحصل وحصل.. وتذهب وأنت متأكد أنه سيحل لك المشكلة، ثم يفشل معك، والسبب أن الله في السماء يريبك من أجل أن لا تتعلق بغيره.

في النهاية نقرأ السورة وقلبنا مُعلق أن نعرف ربنا، نعرف أركان الإيمان على وجه العموم من السورة التي نقرأها، ثم تأتيني الأمثال وهذا لا يكون في كل السور، ثم تأتيني القصص وهذا لا يكون في كل السور، ثم تأتي الأوصاف وهذا لا يكون في كل السور، وتأتي الأحكام، لكن الذي يكون في كل السور وصف الله، لابد أنك من السورة تعرف وصف الله.

[1] [الكهف:٨٤]

نأتي بعد ذلك إلى **الألفاظ** :

ننظر للألفاظ المكررة والمتشابهة والغريبة، وأيضاً ننظر إلى اسم السورة وظهورها في السورة، وننظر إلى علاقة مطلع السورة بخاتمتها، وننظر إلى ترابط الآيات والانتقالات في السورة.

هذه مرحلة الملاحظة، المفروض أني كلما قرأت لاحظت شيء.

ذكرنا في مرحلة التهيئة: الخطوة الأولى قراءة السورة، الخطوة الثانية الملاحظة.

الخطوة الثالثة: **القراءة التفسيرية**.

الآن سنطبق سوياً.. ما هي القراءة التفسيرية؟

قرأت السورة وسمعتيها مرار وتكرار، وكلما قرأت كلما انتبهت هذا اسم، هذه صفة، هذا فعل لله عز وجل، هنا ذكر الملائكة أو هنا سؤال استفهام، لست فاهمة معنى هذه الآيات، هنا قسم، المقسم عليه ليس واضح لي.. إلى آخره، مررت على السورة مرار وتكرار وحصلت لك هذه الأسئلة وتبيَّن لك بعض المفاهيم، ماذا تفعلين؟ رتّبي أفكارك، هذه نسميها قراءة تفسيرية، القراءة التفسيرية هي نهاية مرحلة التهيئة بداية مرحلة الدراسة، فأنا لن أذهب إلى مرحلة الدراسة إلا وأنا معي مجموعة أسئلة، مجموعة الأسئلة سأبحث عن إجابة لها، سنجرب الآن القراءة التفسيرية:

تبدئين من بداية السورة هذا بعد ما سمعتيها مرار وتكرار ولاحظت.

الآن وصلت إلى القراءة التفسيرية التي أتتني بعد الخطوة الأولى والثانية في الملاحظة، الآن سيحصل تفاوت بيننا، السبب أن هناك جماعة قرؤوا تفسير هذه السورة سابقاً، أو جماعة لما بدؤوا يستعدون للقاء جاءهم سؤال استفهام فمباشرة ذهبوا بحثوا فعرفوا إجابة بعض الأسئلة، لكن سأعتبر نفسي لا أعرف أبداً ولا قرأت في تفسير السورة أبداً، سأتعامل مع السورة بهذه الطريقة، وكل واحد فينا وهو يطبق يطبق على حسب علمه هو، بمعنى أنتِ أصلاً حافظة سورة الشعراء ومرت عليكِ وهناك من وقف معك وقفات في سورة الشعراء منها تبيَّن لك كثير من الأمور، والآن تريدي أن تراجعي سورة الشعراء بهذه الطريقة، فيه معلومات أنتِ أصلاً تعرفيها ومتأكدة وقرأتيها في تفسير مع أحد، هذه لا تضعي عليها علامة استفهام لأنك تعرفيها. كل واحد فينا على حسب خلفيته السابقة، لكن هذه الخلفية السابقة يجب أن تكون مبنية على خلفية علمية ما كأني قرأت في

رسالة ولا أحد أرسل لي على الواتس آب كلام عن السورة أو الآيات، هذه ليست خلفية علمية هذه ثقافية مخلطة، كل الذي يجري على هذه الرسائل إلا فيما ندر يكون صحيح، فهذه ليست وسائل علمية ولاتعتبر، لكن قرأت في كلام أهل العلم بسبب أو بآخر؛ أحياناً يكون طالب في جامعة حفظ السورة عن طريق الجامعة، والجامعة قررت عليه يفهم جزء معين، باقي آثار من هذا الجزء قرأه في تفسير انتهى ليس المطلوب منك أن تعتبر نفسك لا تعرف شيئاً، أنت اسأل على حسب علمك، لكن أعتبر السورة الآن كأني لا أعرفها أبداً، أول مرة أبحث في تفسيرها.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴾ ما معنى الْمُرْسَلَاتِ؟ ما معنى عُرْفًا ؟

بدأت السورة بالواو، هذا عند كثير منا مفهوم أن هذا قسم، مثل ما أقول (والله) وممكن يكون عند البعض ليس مفهوم ما معنى هذه الواو، لكن غالبًا كلنا متصورين أن هذه الواو التي تأتي وتبتدئ الكلام واضح أنها واو القسم.

يأتي بعدها ﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴾ سيكون نفس السؤال ما معناه؟.

﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴾ ما معناه؟ الواو في (وَالنَّاشِرَاتِ) هل هي واو قسم أو واو عاطفة؟

ممنوع أنك تجاوبي، إذا كنت متأكدة وقرأتيه، خلاص جزاك الله خيرا، وإن لم تكوني قرأتيه ليس هو وقت التخمين أبداً، فيه واحد يقول أنا لا أعرف أن واو عاطفة أو واو قسم، ثم يقول لو واو عاطفة يكون معناه كذا ولو كانت واو القسم تكون معناها كذا، الواو سؤال استفهام.

مثلها ﴿ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴾ ، مثلها ﴿ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴾، إلى هنا كل هذه الخمس آيات وأنت تضعي علامة استفهام ما معناها؟

يأتي قوله تعالى: ﴿ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴾ كلمة عذر كلمة نذر من جهة الفهم مفهومة، لكن ما سؤالك؟ الربط، ما علاقة هذه الآية بما قبلها؟ لو فهمت كل الذي مضى مباشرة ستفهمي ما علاقتها، لكني كأني سأضع قوس من آية واحد إلى آية خمسة عندي أسئلة استفهام عليها كلها لم أفهمها، وأيضاً الواو ما معناها؟ وممكن أيضاً أحد يقول والفاء ماذا تكون؟ إلى أن آتي إلى

الآية ستة ما علاقته بما سبق؟ أنا متصورة أن المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات والملقيات كلها جاءت في سياق القسم لكن ﴿ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴾ ما علاقتها بما سبق؟.

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴾ واضح المعنى ما هو الذي يوعدونه الناس؟ يوم القيامة، بدليل مباشرة ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴾ جاءت الأهوال، الآن هذا ركن من أركان الإيمان (الإيمان باليوم الآخر)، وتبيَّن لك في هذا اليوم ماذا يحصل؟ النجوم طمست، طمست واضح المعنى؟ لا نريد المعاني البلاغية نريد المعاني الظاهرة، طمست تقريباً واضحة بالنسبة لنا، ذهب نورها أو ما يقارب هذا المعنى في ذهنك، أحياناً تكوني لا تعرفي تعبري لا بأس يحل هذه المشكلة لما ندرس الدراسة الإجمالية، لكن أهم شيء تضع عينك على الأسئلة التي ليست واضحة تماماً، والنجوم طمست تقريباً فاهمة المعنى، فليست سؤال استفهام.

يأتي بعدها قوله تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴾ هذا كله وصف ليوم القيامة، نجوم طمست وسماء فُرجت، فُرجت أيضا متصورة معناها على وجه الإجمال.

﴿ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴾ أيضاً هذا واضح المعنى.

إلى أن أصل للرسل ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴾ ما معناها؟ أقتت جاءت من الوقت، هكذا متصورين لكن أيضاً ماذا سيكون المعنى؟ فيصبح علامة استفهام، ليس هناك اقتراحات، ولا فلسفة ولا أظن ولا أتصور، الذي لا أعرفه أضع عليه علامة استفهام، أطلب العلم به. "من تكلم برأيه في القرآن أخطأ وإن أصاب"، هذا أثر يقوي بعضه بعضا.

يأتي بعدها ﴿ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴾ ما هو الذي أجلت؟ على من يعود هذا الكلام؟ على الرسل، ممكن يكون واضح وممكن يكون ليس واضح. على حسب.

﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴾ هذا سؤال، جاء الجواب مباشرة ﴿ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴾ إذن يوم القيامة سمّي بيوم الفصل.

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴾ لماذا يوم القيامة سمي يوم الفصل؟ في عقلك كلام، لكن لا نريد اقتراحات، كأنك تقول أريد كلام من أهل العلم أمتلئ به، حتى أثق أن فهمي صحيح، لكن لن يكون سؤال استفهام لأنه واضح.

ثم يأتي قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ يؤمئذ هذا يوم الفصل الذي سمعنا عنه، ويلٌ متى؟ يومئذ، لمن؟ للمكذبين.

يأتيك بعد ذلك الخبر: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴾ من الأولين من الآخرين؟ هذا أيضا سؤال استفهام.

لكن تبيَّن لي بعد ذلك ﴿ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ أكيد أن (الأولين والآخرين) صفتهم أنهم مجرمين لكن مَن هم كأسماء؟ أهلكهم الله. ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ وهناك ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾ اتفقنا أن في الملاحظة ملاحظة الألفاظ المكررة والأساليب (ألم).

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ إشارة إلى أي شيء؟ مبدؤهم، لماذا ورد الكلام عنه؟ هذا سؤال، إشارة إلى قدرة الله؟ إلى عظمة الله؟ سيتبيَّن ونحن نقرأ. هنا واضح فعل الله، الخلق.

﴿ فَجَعَلْنَٰهُ ﴾ الضمير عائد على مَن؟ أولاً جعلناه، هذا فعل لله مثل الخلق مثل الجعل كلاهما فعل لله، لكن بقي نتأكد أن الضمير عائد على مَن؟ واضح على الماء المهين لكن نتأكد، وممكن يكون بالنسبة لك ليس واضح فيكون سؤال استفهام.

﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ واضح القرار المكين لأن الكلام عن الخلق، ونحن متصورين فيه ثقافة عن هذا الخلق وكيف يكون في رحم المرأة إلى آخره.

﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ يعني إلى قدر معلوم بقي في القرار المكين هذا مقصود الآية؟ المقصود لو كنت تعرف لما أسألك هذا السؤال تكون الإجابة واضحة، لكن لو ما كانت الإجابة ثابتة أول ما أقول لك هكذا يصبح عندك سؤال استفهام وتشك فيما تقوله، وقت ما تشك ابحث مرة أخرى، تقولي لنفسك لو أحد قال لي أكيد أن القدر المعلوم المقصود به بقاؤه في بطن أمه؟ أو ربما مقصود يكون بقاؤه في الدنيا؟ فيكون عندك حيرة أكيد هذا الذي تفهمه أو ليس أكيد، أول ما تشعر أنك محتار لازم تتأكد، فكّر بعقلك وعقل غيرك كيف يكون مفهوم هذه الآية.

﴿ فَقَدَرْنَا ﴾ إشارة إلى فعل الله ﴿ فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ القادرون ماذا يكون هنا؟ صفة لله أو اسم؟ اسم من أسماء الله، سنرى، هذه المسألة بالذات لا يصلح فيها الكلام إلا بعد ما يكون عندك علم في باب الأسماء والصفات، ولذلك قدرتك على التصنيف هذا اسم هذه صفة هذا فعل لله ليس بالأمر اليسير، لازم يكون لك مُرشد في هذا الباب، ما هو بالأمر اليسير الذي يكون فيه اقتراحات، لكن لو اهتمينا بتفسير الشيخ السعدي غالباً ما يشير إلى كونه اسماً، إلى كونه صفة، يبيَّن معانيها فيتضح لك المقصود.

ثم خُتم هذا المقطع بقوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ في المرتين التي مضت كان واضح علاقتهم، مرة بيوم الفصل ومرة بالمجرمين، لكن هنا الكلام عن قدرة الله في خلق الإنسان ومع ذلك أتى ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ما علاقتها؟

الآن أصبح عندي سؤالين، نرجع للوراء، لما وصلت عند ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ هذا كله مقطع واضح علاقته ببعضه، ذُكر يوم الفصل، ذُكر المكذبين، ذُكر أنه أهلك الأولين والآخرين وأنهم مجرمين ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ هذا المقطع مع بعض واضح لكن ما علاقة ما بعده، آية ٢٠ ما علاقتها بما مضى، تستطيعين أن تكوني علاقة بين ٢٠ إلى ٢٣ آيات متصلة واضحة فيها آيات بيان قدرة الله على خلق الإنسان.

يصبح فيه سؤالين علاقة هذا بما قبله وعلاقة هذا بما بعده وهي قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ يعني أبحث وأنا أبحث عن الآيات عن العلاقات والانتقالات ولماذا خُتمت.

تصوري لو تُحفِّظين هذه السورة لطالب في الصف الأول الإبتدائي، السورة واضحة في تقسيمها، صدر السورة قسم ثم خبر عن يوم القيامة وأهواله، ثم عن فعل الله عز وجل بإهلاك الأولين ينتهي مقطع هنا.

لنقسم الذي مضى من النقاش: من ١ إلى ٧ هذا القسم وجوابه.

من ٨ إلى ١٥ لأن النجوم طمست هذه من الأهوال، والسماء فرجت هذا من الأهوال، والجبال نسفت هذا من الأهوال، الرسل أقتت صحيح لست أفهمها لكن واضح أنها معطوفة على ما سبق، ثم أتى اسمه ﴿ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ هذا كله متصل مع بعضه.

من ١٦ إلى ١٩ خبر عن إهلاك الأولين والآخرين وأنهم مجرمين.

من ٢٠ إلى ٢٣ الكلام عن قدرة الله ، و٢٤ عندي عليه سؤال استفهام لماذا ختم هذا الجزء بـ ﴿ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ ؟

هناك (ألم نهلك) ثم (ألم نخلقكم) وهنا (ألم نجعل).

وحدتنا الآية الآن نفكر فيها، ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴾ ما معنى كفاتا؟ أكيد يتبعها ﴿ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴾ نفس الكلمتين واضحة لكن في السياق الآن ليس واضح ما معناها، سيتضح مباشرة لو بحثت عن كفاتا، هذا أول خبر في هذا الجزء أن الله جعل الأرض كفاتا، أحياءً وأمواتا وستبحثين ما معنى كفاتا.

الخبر الثاني ﴿ وَجَعَلۡنَا فِيهَا ﴾ ضمير فيها عائد إلى الأرض.

﴿ رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ ﴾ هذا الجعل الثاني، الجعل الأول أن الله جعل الأرض كفاتا، الجعل الثاني ﴿ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ ﴾ رواسي شامخات تشير إلى الجبال، الأمر واضح، لو ليس واضح ضعيه علامة استفهام.

وأيضاً الفضل الثالث من أفضاله علينا في هذا السياق ﴿ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ﴾ أسقيناكم ماء واضح، فراتاً إشارة إلى أي شيء؟ أحد واضح له أن هذا عذب أو فهم من المعنى عذب، وفيه أحد يقول لماذا عُبر عنه بفراتا؟ نقول هذا سؤال متقدم ليس الآن تبحث عنه، أهم شيء تفهم معاني الآيات على وجه الإجمال في هذه المرحلة.

خُتمت بـ ﴿ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ إذن بدأت السورة بالقسم على الوعد، وذُكر أهوال يوم القيامة وذُكر مصير المجرمين ثم ذُكر ماذا؟ .. ماذا نسمي هذه الأشياء؟ نِعم الله، أو أدلة عظمة الله، أو أدلة استحقاق الله للعبادة أو أدلة البعث، الأدلة التي

تدل أن الله كما فعل لكم هذه الأشياء كلها سيبعثكم من جديد، كل هذا الكلام على وجه العموم صحيح، سواء أتيت من هنا أو من هنا.

افترضي ستدرسين طالب في أول ابتدائي كيف ستقسمين له السورة؟ اليوم الأول ماذا تقولين له؟ تقولين له هذه السورة بدأت بقسم عظيم، الله العظيم أقسم، وأقسم على أمر عظيم، والله يقسم بما شاء، أقسم بماذا ؟ نعيد عليه، إذن نأتي نقول له قل لي في سورة المرسلات الله أقسم بأي شيء وعلى أي شيء؟ فيقول لي على أي شيء أقسم، فرق كبير بين أن أقول له سَمّع من أول السورة إلى آية ٧، أو أقول له سمّع موضوع كذا..

تأتين تقولين له يوم القيامة آتي وإذا استقمنا ننجو بأمر الله ونكون من أهل الجنان، لكن هذا اليوم العظيم سيحصل فيه أشياء عظيمة، قل لي ماذا سيحصل في يوم القيامة من سورة المرسلات؟ فيحكي لك (فإذا طمست) وهكذا، كذا بناء العقيدة أنك تكوني فاهمة هذه الآيات ماذا تقول ثم تُحفظيه كلفظ وكمعنى، فلما يأتي يردها عليكِ لا تقولين له من أول السورة إلى أن أقول لك قف! هذا الطفل الذي تبنين عقيدته تقولين له: هات الآيات التي فيها الله أقسم على أمر عظيم، أو الله عز وجل أقسم أننا سنلقاه وسنجتمع عنده، هات الآيات التي تحفظها من المرسلات.

وهم في حالة من التأهّب في الفهم تفوق ما يدركه كثير من الآباء والأمهات، هؤلاء متيقظين يملكون فطرة سوية مستعدين، ربنا لم يكلفنا ما لا نستطيع، أتى بأبنائنا كلهم وعندهم فطرة سوية، بقي أن هذه الفطرة نغتنمها، نغتنمها بأي شيء؟ نضع العلم فيها بالطريقة الصحيحة.

الآن تبيَّن لي انتقال السياق من وصف أهوال يوم القيامة، إلى أحوال المكذبين، إلى قدرة الله على الخلق من عند خلقهم إلى خلق الأرض إلى جعل فيها رواسي إلى إسقائهم الماء ثم ختمت ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ عندي سؤالين: لماذا آية ٢٤ ختمت بما سبق ولماذا آية ٢٨ ختمت بما سبق؟.

بعد ذلك ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ ﴾ من هم؟ المكذبين، أين سمعنا عنهم؟ لأنه ورد في الآية ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ وهناك سموا ماذا؟ يعني فيما سبق ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ ابتدأت من عند ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ أكيد السياق

يشير إلى هؤلاء، أتصور أني لم أعرف من هم ماذا أفعل؟ يكون سؤال، الواو هذه إلى ماذا تشير؟ إلى ﴿ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ ، لكن الأمر واضح.

﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ٣٠ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾ هذه ستكون عبارة عن أسئلة استفهام، ما هي هذه الأشياء؟ ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ انطلقوا إلى مكان، وُصف هذا المكان، ما هو هذا المكان؟ إلى ظل، سيكون عذاب وهو ظل؟ ما معنى ثلاثة شعب؟ ما المقصود بها، إلى ظل ثم لا ظليل؟ كيف يثبت أنه ظل ثم ينفى عنه أنه يظل! هذا كله يحتاج إلى فهم.

لماذا آيات العذاب لا تعمل حركة قلبية رغم أننا نقرأها ونقرأها في الصلاة؟ ليست مفهومة، ولا تعاد بمفاهيمها ليعيش القلب معها، لأنك أنت تعيش في أحيان مواقف بسيطة جداً في الحياة، مع النار، مع اقترابها، مواقف بسيطة لا تعني شيء لكن لو تحرك قلبك تجاه هذه المواقف أول ما تسمع هذه الآيات وتفهمها ماذا يحصل؟ من الصورة التي تعيشها تستطيع أن تتصور الصورة البعيدة هذه التي لا يمكن إدراكها، والله عز وجل من رحمته بخلقه يربيهم في الدنيا.

الناس يهربون من الفقر هروباً عظيماً، وكل يوم يكلموك عن سوق العمل والأسباب التي تزيد معيشة الناس والطمع فقط الطمع، ولو قلت لهم ارضوا بما قسم، يقول لك أنتم خليكم قاعدين أنتم فقراء تحبوا الفقر وتدخلوا الجنة! هذا الكلام فيه نَفَس الثورية لأن الآن سياسة الثوريين يشعرك لماذا راضي لماذا قاعد لماذا أنت راضية بزوجك بهذه الصورة؟! تعرف كيف الذي يدفنك تحت الأرض ليدفنك تحتها! هذه حالتهم.

هذه الآن المشاعر التي يحركوها في نفسك فتشعر أنك أنت مسكين، وأنت أصلاً لا مسكين ولا شيء، لو ذهبت في احصائيات دولية ستعرف أنت مَن في العالم تعتبر، لست مسكين، لكن هو ماذا يفعل بك ؟ يلعب بمشاعرك، خائف من الفقر الذي ممكن تموت قبل أن تأكل اللقمة ولا تخاف من النار؟!

لو هذه المشاعر التي استغلوها فيك وأصبحوا يحركوها ويحزنوك على حالك، حزنت على حالك وقت ما تقبضك الملائكة ولابد أن تقبضك، وقت ما تلقى الله ولابد أن تلقاه، إلا ترد وكلنا واردين ينجينا الله عز وجل.. أين هذه المشاعر بدل ما تنصرف في مثل هذه الأمور كانت انصرفت في هذا الذي لابد أن يكون، نعلم يقيناً أننا سنلقى الله، نكلمه ما بيننا وبينه ترجمان، ماذا أعددنا لهذا اليوم؟!

المسألة أن مشاعرنا ماذا حصل لها؟ تشتت، تاهت، لما تجمعيها على حقائق وأقول (النار وظل وفيه كذا وكذا) ليس هناك مشاعر، خلصت مشاعرك، في كل وادي مشاعري، فلما تأتي الحقائق هذه ليس محبوس وراءها مشاعر تتحرك؛ فلازم تتحرر من هذا الشتات.

ولذلك الله عزّ وجلّ في سورة المؤمنون يصف المؤمنون ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[1] يعني أنت لن تخشع في الصلاة إلا إذا تحررت من اللغو، إلا إذا سددت آذانك عن اللغو، والآن سددت عينك عن أن ترى كلام أو ترى لغواً، ومن ثم لا تتكلم لغواً إن أردت أن تخشع في الصلاة، وإذا خشعت في الصلاة إشارة إلى أنك مؤمن وإذا آمنت الحمدلله أبشر بكل خير؛ لأن اللقمة التي تأكلها لن تموت حتى تستفرغ ما كُتب لك رزقا، تستفرغه كله، لو اجتمعوا على أن يحبسوا عنك شيء لن يستطيعوا حبسه.

﴿ إِنَّهَا تَرْمِى ﴾ بأي شيء؟ ﴿ بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴾ ما وصفه؟ يصبح هذا الكلام علامة استفهام .

﴿ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ كأنه عائد على الشرر ، أيضاً يحتاج هذا إلى فهم.

وانتهت الآيات أيضا بقوله ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ واضح علاقته بما مضى واضحة.

﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴾ لاحظي في البداية، في آية ١٣ و١٤ ذُكر يوم الفصل، وفي آية ٣٨ سمعنا أيضاً يوم الفصل، ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴾ مَن المخاطبين هنا؟ يعني الخطاب أكيد للآخرين. ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾.

والقرآن مثاني كما ذُكر أهل النار يُذكر أهل الجنة ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴾ أكيد ستلاحظين هناك انطلقوا إلى ظل، لا ظليل، ثم مباشرة ظلال.

على ذلك سيأتي وصف المتقين مناسب لأي شيء؟ لما ذكر به وصْف المكذبين، ذُكر الظلال والعيون ﴿ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا -بأي شيء؟- بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الباء هنا سببية، يعني هل الجنة تُكافئ وتساوي عمل العاملين أو مجرد سبب؟ سبب، ما الفرق بين المعنيين؟ بين أن تكون بسبب وبين أن تكون تكافئ؟

[1] المؤمنون: ١ – ٣

في قوله تعالى ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الباء تدل على السببية، ما الفرق أن نقول أن الجنة بسبب الأعمال وليست الأعمال ثمن الجنة، ما الفرق؟ يعني أنت الآن تفهم أن الفضل الذي سيكون لأهل الجنة عظيم لا يمكن أن يوازيه عملك، وأن يكون هذا معناه أنك استحقيت الجنة بعملك، لكنك أخذت سبباً ضعيفاً فعاملك الله الذي وصفه الغفور الشكور بوصفين وهما: المغفرة والشكر، فغفر لك التقصير، وشكر لك العمل، فأنت أتيت بسبب ضعيف، والله عز وجل قوّى لك السبب، ونفعك به.

بمعنى؛ لما يأتي العبد يقوم بأعمال غير لما يأتي العبد لا يقوم بأعمال، الذي قام بالعمل –مهما كان العمل ضعيفا– أتى بالسبب، اثنين معهم ريال واحد قال ريال ماذا يفعل وتركه في جيبه! والثاني قال ريال يربّيه الله فأجده يوم القيامة عظيم؛ لأن الله يربي صدقة أحدكم كما يربي أحدكم فلوه، يعني هذا النتاج الذي ينتجه الخيل ثم يكبر ويكبر ويصبح خيل، ما الفارق بين الإثنين؟ أن واحد تصور أن القضية في الكم، وواحد تصور أنه مهما فعل لن يبلغ، لكنه يتقرب بالأسباب التي يمكنه القيام بها، فلذلك أحب الأعمال إلى الله أدومها، واتركوا الآن (إن قل) لأنها تأتي بعد تقرير العمل الأول، (أحب الأعمال إلى الله أدومها) لماذا الدوام محبوب عند الله؟ لأنها دليل على أنك كل ما وجدت سبباً ماذا فعلت به؟ مسكته، تمسك الأسباب مهما كان هذا السبب قليل.

ولذلك فتّش عن سبب عظيم من الأسباب توصلك إلى مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم، فتجد حبه صلى الله عليه وسلم، حركة قلب في حب النبي صلى الله عليه وسلم تسبب لك أن تكون ممن يرافقه، المرء مع من يحب. هذا عمل حقيقي قلبي ما فيه نفاق ولا تستطيع أن تخدع الله، كم فتشنا عنه وجعلناه سبب نصل به إلى الله؟! يعني لا تأتي إلى الأعمال التي توصلك إلى الله وتجعلها عبارة عن أمور عظيمة، ما تفهم أنك أنت كل سبب يسهل عليك أن يناولك الله إياه ماذا تفعل به؟ تأخذه، ولذلك قال الله عز وجل هنا (كلوا واشربوا هنيئا) بأي شيء؟ بسبب الأعمال التي كنتم تعملوها، يعني الأعمال التي عملتوها أسباباً جعلت الله يعاملكم باسمه الغفور الشكور، فأنتم لا تستحقون الجنة بهذا.

ولذلك في سورة فاطر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ أهم شيء ﴿ يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ ثم تتبع السياق فتصل أن أهل الجنة أول ما يدخلون الجنة ماذا يقولون؟ ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ

﴿ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾[1] من فضله وليس بعملنا، لكن عملك اسمه سبب، تستحق عليه أن يعاملك الله بمغفرته وشكره، فأنت هات من الأسباب ولو كانت ضعيفة، وهات من الأسباب الشرعية التي يحبها الله، وفتش عن عمل القلب قبل أن تفتش عن عمل البدن، وبث في نفسك محبة الله ومحبة رسوله ومحبة الأماكن التي يحبها الله والأزمنة التي يحبها الله قبل أن تكلمني عن الطاعات التي تفعلها في الحرم.

الناس يذهبون للحرم يضاربون الناس ويفقدون الحرم عظمته ورهبته التي يجب أن تكون في النفوس، وبعد ما تضارب وتخلص تذهب تصلي على أن هذه الصلاة تقربها إلى الله! والصحيح أن تعظيم المكان تعظيما لله أولى من صلاتها، لازم تفهموا هذا. في نهاية الأمر تجد أن تعظيم الله القربة الحقيقة ما حصلت، لا تذهب إلى بيت الله وليس قلبك مليء بتعظيم الله وتعظيم المكان، هذا سبب عظيم، تعظيم الأرض التي تعيشها سبب عظيم، تستحي من الله أن يقربك إلى هذه الدرجة ومافي في قلبك مشاعر الحب لهذا المكان، مشاعر الحب الحقيقي وليس من أجل العادة، أعمال القلب تسبق أعمال البدن.

على كل حال في نهاية ذكر أهل الإيمان قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ إذن هؤلاء الذين كوفئوا هذه المكافأة ما وصفهم؟ محسنين، يأتي هنا السؤال محسن ومتقي، ونحن كنا نبحث عن أوصاف المؤمنين، هنا أتاك (إن المتقين) وختمت ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ هذه اسمين ، هذا جزاءهم، لكن هل أتت هنا أوصافهم؟ الجواب: ما أتت أوصافهم، نكمل قليلا حتى تتصورون ستأتي أوصاف من، تأتي أوصاف العكس.

بدأ الكلام الجديد ﴿ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ وصفهم في الدنيا الآن ﴿ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴾ في أول السورة سمعت ﴿ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ إذن هؤلاء المكذبين أيضا لهم وصف آخر أنهم مكذبين، ما حالهم في الدنيا؟ صفي حالهم، كما ترين أمام عينيكِ يأكلون ويتمتعون، لكن الله عز وجل وصف أكلهم وتمتعهم أنه قليل، إذا فهمت هذه الآية بعد ما مضى ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ -في أي شيء؟- فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ في الدنيا، وهؤلاء المكذبين؟ ﴿ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴾ إذن وصْف المجرمين المكذبين أنهم في الدنيا يأكلون ويتمتعون قليلاً، قليلاً ليس قليلاً في الدنيا، عند أهل الدنيا يعتبر كثير، لكن في حقيقته سينتهي الأمر ويصبح قليل، لكن عند الله ماذا سيكون؟ سينقلب الأمر، هؤلاء الذين يأكلون ويتمتعون الآن سمعت عنهم ماذا سيحصل لهم، ومعناه أن

[1] فاطر: ٢٩ – ٣٥

الذين كانوا يعملون وقلّ تمتّعهم وقلّ أكلهم، ماذا سيحصل لهم؟ سيقال لهم ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إذن صحيح ما أتى وصف المتقين المحسنين، لكن أتى وصف ضدهم في الدنيا، وأتى جزاؤهم في الآخرة، أنت بالتقابل فهمت أن هؤلاء وصْف المجرمين المكذبين في الدنيا يأكلوا ويتمتعوا قليلاً، ولن يكون هذا حال المؤمنين، ما يأكلوا ويتمتعوا إنما يأكلون ليقيموا صلبهم، وكل شيء يشعرون تجاهه بالتمتع يقولون سيزول، ومؤمنين أن المتعة الحقيقة ستكون في الآخرة، لذلك يقال لهم ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في مقابل أن هؤلاء سيحصل لهم ما ذُكر لنا سابقاً، بالطريق العكسي استخرجنا الصفات.

من جهة أسئلة استفهام واضح، من جهة الصفات على الأقل فهمت المجرمين ما صفتهم، لما يقال لك هذا الدين يشرح الصدر ويجعل الإنسان يعيش حياته بصورة مطمئنة، مع أننا نرى الغرب والشرق مع كفرهم لكنهم يأكلون ويتمتعون وأنتم انظروا لحالكم، ماذا تقولين بجملة مختصرة؟ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ ما يأتيني واحد بعد ما يشب ويكبر في قلبه شك أن تَمتُّع الكفار إنما هو عند الله عبارة عن قليل، وأنه ستنقلب المسألة ويقال للذين حرموا نفسهم من الاسترسال مع المتع يقال لهم ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ هذه المسألة الثانية : المكذبين يقال لهم اركعوا لا يركعون، أين؟ في الدنيا، وأهل الإيمان؟ يركعون، يركعون إشارة إلى أي شيء؟ إلى كثرة صلاتهم، إذن المتقين المحسنين صفيهم بوصفين، قليلي التمتع قليلي التعلق بالدنيا، لأن الأكل والمتع وصف التعلق بالدنيا، والشيء الثاني لا يأكلوا ولا يتمتعوا كثيري الطاعة رمزها الصلاة والركوع بالذات، الركوع تعبير عن الكل بالجزء.

سمعت عن المتقين المحسنين لكن ما سمعت عن صفاتهم لكنك سمعت عن صفات المكذبين الذين هم ضدهم، هم ضدين متقابلين مكذبين ومتقين إذن صفة هؤلاء ليست صفة هؤلاء.

ثم يأتي قوله تعالى ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ الخاتمة هذه يقصد بها الإشارة إلى السورة كلها.

المفروض الخطوة التي بعدها، سأشرح نظرياً ماذا سنفعل بعد ذلك:

سجلت أسئلتك، كتبت الروابط، عرفت ما الروابط بين الآيات وما بقي عندك علامات استفهام في الروابط، ماذا ستفعلين؟ تقرئين تفسير الشيخ السعدي للسورة كاملة، وخلال قراءتك لتفسير السورة كاملة تقولي وجدت إجابة كذا هنا، تجاوبي لنفسك، بعد تسجيل الأسئلة تسجلي الإجابات، بقي عندك سؤال سؤالين ثلاثة ما وجدتيهم ماذا ستفعلين؟ ننتقل للمرحلة الثانية للدراسة .

الدراسة فيها ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: الدراسة المجملة؛ وأحسن تفسير مجمل هو تفسير الشيخ السعدي والله أعلم.

المستوى الثاني: الدراسة المفصلة؛ بعد ما أقرأ كل السورة وأبحث عن أسئلتي وأجد إجابات الذي أجده ويبقى عندي أسئلة لا أعرف إجاباتها أنتقل للذي أعلى منه، بالترتيب التالي:

سأبدأ بالطبري، البغوي، ابن كثير، ثم آخذ واحد من اثنين: فتح البيان للقنّوجي أو تفسير القاسمي، أول كنا نستعمل القاسمي لكن الظاهر أن فتح البيان يشمل القاسمي وفيه إضافات أيضاً فأحسن فتح البيان.

ماذا ستفعلين؟ هذا سؤال عندك لماذا ورد ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾؟ تفتحي الطبري أولاً وجدت إجابة لا بأس اقرئي أيضا في البغوي واقرئي أيضاً في ابن كثير واقرئي أيضا في فتح البيان، يزيد الأمر بياناً.

ما الفرق بين المستوى الأول والثاني؟ الأول في الدراسة ستقرئين تفسير السورة كاملة من تفسير السعدي، المستوي الثاني فقط ستبحثين عن سؤالك، مثلا سؤالك في آية ١٨ اقرئي أيضا الآية قبلها لو كان فيه اتصال.

المستوى الثالث: الدراسة من الكتب المتخصصة؛ تقدمت وفهمت المعاني وتبين لك، عندك أسئلة بلاغية لماذا هذا قُدّم؟ لماذا هذا أخّر؟ هذه الكلمة ما معناها؟ لماذا عُبر عن الماء العذب بفرات؟.. إلى آخره تطلعين مستوى أعلى، فتأخذين كتب لكن هذه الكتب التي سأذكرها تكوني على حذر وقت استعمالها لأن غالباً يكون عند أصحابها شيء من الإشكالات العقدية، فمن ذلك مثلاً تفسير أبو السعود، هذا من التفاسير التي اهتمت بالبلاغة والنحو، من ذلك أيضاً القرطبي.

والحمد لله رب العالمين.